عنوان البحث: اشكالية الموضوعية والذاتية في البحوث الاجتماعية

باختصار:
المقصود بـ"الذاتية" : ذات الباحث (ماله علاقة بذات الباحث: إيديولوجيته، أحكامه المسبقة، تجاربه، أفكاره...).
المقصود بـ"الموضوعية" : موضوع البحث (ماله علاقة بموضوع البحث)
المقصود بـ "إظهار ذات الباحث في بحثه" : أي إظهار رأيه، وتعليقه على النصوص المقتسبة وعلى عناصر بحثه.

من العوائق المنهجية التي تعترض البحث العلمي، ما يسمى بـ"عائق الذاتية"، أي أن تتدخل ذات الباحث في موضوع البحث، لتوجيهه خارج إطار البحث العلمي الأكاديمي.. وعندما نقول إن على الباحث أن يكون موضوعيا، أي ينبغي عليه أن يتخلى عن الأسباب الذاتية (إيديولوجيته، أحكامه المسبقة...) التي تتدخل في موضوع بحثه.. وحسب الدكتور فريد الأنصاري رحمه الله، فإن هذا التدخل قد يكون إراديا وقد يكون لا إرادي.. وتفصيل ذلك كما يلي:

التدخل الإرادي: ويكون بِنيّة وقصد الطالب توجيهَ بحثه اتجاها يخدم رغبته أومذهبه أو اتجاهه الفكري أو السياسي..
مثال: أن يدرس الطالب مذهبا معينا (المذهب الاعتزالي / السلفي / المالكي / الحنبلي...) فينتصر لمذهبه ويقصي الآراء الأخرى، وقد يبذل وسعه ليجعل الحقيقة من نصيب مذهبه فقط، ويرمي بمجانبة الصواب للطرف الآخر، سالكا في ذلك سبلا غير علمية.. وقد لا يذكر آراء الخصم إلا للتنقيص منها.. وإذا وجد نصا يدين مذهب الخصم أتى به، وإذا وجد نصوصا في مصلحة المذهب نفسه أهملها..
فهنا نقول: إن كرهه للمذهب الآخر أثّر على موضوع بحثه. أي إن ذاته تدخلت في موضوع البحث حتى يظهر مذهب الخصم بأنه مذهب الأشرار لا خير فيه، وكذا لكي يظهر مذهبه بأنه مذهب الأخيار لا شر فيه.
التدخل اللاإرادي: ويكون الأمر كذلك عندما تدرس الذات نفسها، حيث تتدخل الذات في الموضوع مستفيدة من تجاربها..
مثال: أن يدرس الباحث ظاهرة "الفشل الدراسي"، فيذكر أن السبب الأكبر في هذا الفشل يعود للمدرسين أو الدولة أو الفقر.. انطلاقا من تجربته أو حالته الخاصة، وقد يدفعه الحال لتحاشي ذكر أسباب أخرى لها دور في الظاهرة، أحيانا دون أن يعي بذلك..

كيف يمكن تجاوز هذا العائق:

بالنسبة للتدخل الإرادي: نتجاوزه باعتماد الموضوعية والعدل كيفما كان الحال وكذلك علينا أن ننقل عن الآخر من مصادره الأصلية، لا أن ننقل عنه من طريق ثالث قد يشوه الحقيقة.

لنفترض أنني أنجز بحثا عن علاقة الفقهاء بالحكام، فلو قلت إن الفقهاء كانوا في خدمة الحكام والسلاطين (لأنني أكره الحكام والفقهاء معا)، فما عدلت وتَدَخَّلَتْ ذاتي في البحث.. أما الموضوعية والعدل كأن أقول إنهم فِرَقٌ شتى، منهم من والى الحكام ومنهم من عارضهم، وللمزيد من الموضوعية والعدل أن أذكر الأسباب الحقيقية التي دعت الموالين للحكام لتلك الموالاة.

كذلك من الموضوعية والعدل أنني إذا نقلت عن طائفة فأنقل من مصادرهم المعتبرة، مثلا: لو كنت أتحدث عن المعتزلة، فيجب أن أرجع إلى مصادرهم وأنقل آراءهم وتفسيراتهم، ولا أنقل عن خصومهم إلا إذا كان هذا النقل للرد على ما قاله المعتزلة.

أما بالنسبة للتدخل اللاإرادي: يمكن تجاوزه عن طريق محاسبة النفس وعدم تزكيتها،

لنفترض أنني أستاذ مدرس، وأنجز بحثا عن "فشل التعليم"، فإذا قلت إن السبب هو وزارة التعليم، والطلبة والتلاميذ وآباؤهم، أما الأساتذة فيبذلون جهودا كبيرة، ولا يتحملون المسؤولية. فهنا تدخلت ذاتي في البحث، وزكيت نفسي وغيري من المدرسين.. والموضوعية أن أقول إن لكل طرف جزء من المسؤولية عن فشل التعليم، ومن بينهم الأساتذة المدرسون أيضا.

في الاخير يمكن القول انه عند نقل النصوص والاستشهادات، يجب على الباحث أن ينقل النصوص التي لها علاقة بموضوع البحث، ولا ينتقي منها فقط ما يخدم فكره وتوجهاته. ثم عليه أن يكون عادلا في حكمه ونقله " حتى لا تؤثر ذات الباحث على بحثه"

كما يجب على الباحث أن يعلّق على تلك النصوص التي استشهَدَ بها، بأن يُبدي رأيه فيها؛ يشرحها ويفسرها أو ينتقدها بعلم وموضوعية كذلك" حتى تظهر شخصية الباحث في بحثه".